نصيحة

الحمد لله ربّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من تبعهم واستنَّ بسنَّتهم إلى يوم الدِّين، أما بعد:

اللهمَّ إنَّا نسألك الثبات في الأمر، ونسألك السداد في القول، اللهم علِّمنا ما ينفعُنا، وانفعنا بما علَّمتنا، وارزُقنا التوفيق في القول والعمل.

أيُّها الإخوة الأكارم...

إنّ وظيفة الداعية إلى سبيل الله ﷻ عظيمة وجليلة، وعليه إذا تصدَّى لهذه الوظيفة أن ينظر إلى الداعية الأكبر - وهو النبي ﷺ - الذي تعبَّدنا الله ﷻ باتِّباعه والسير على نهجه، فقال ﷻ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾.

وقال ﷻ: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾.

وقال ﷻ: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾.

وقال أ: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ﴾.

وهذه النصوص من النُّصوص الدالَّة والموجبة لاتباعه ﷺ، ومن المعلوم أنَّ دعاة الخير الذين يُبصِّرون الناس في أمور دينهم هم أقرب الناس وأَوْلى الناس بوظيفة الأنبياء والرُّسُل عليهم السلام، ذلك أنّ الأنبياء والرُّسُل - عليهم السلام - هم أعظم دُعاة الخير.

وهذه الوظيفة - أعني وظيفة دعوة الناس إلى الخير - من أحسن الأعمال، كما قال ربُّنا ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾.

فالدَّاعية إلى سبيل الله ﷻ يقوم بوظيفة النبيِّ ﷺ في الأمة؛ يُعلِّم الناسَ ويُبصِّرُهم، ويُجيب على أسئلتهم، ويُشير عليهم بما قرَّره أهل العلم في مصنَّفاتهم وفتاواهم.

ومن المعلوم أيضًا أنّ الداعية إلى سبيل الله ﷻ قدوة في قوله وفعله وسرِّه وجميع شأنه، ذلكم أنّ الناس ينظرون إليه، فإن أحسن الدَّاعيةُ تأثَّر من رآه ومن سمع به؛ لأنهم يرونه القدوة والمثال الحسن.

وعليه؛ فينبغي على الداعية أن يستشعر أنه مسؤول أمام الله ﷻ؛ لأنه قدوة والناس ينظرون إليه على أنه موجِّه ومعلِّم لهم، ولهذا ترى الناس يُجِلُّون الداعية الحق، ويستشيرونه

نصيحة

فيما أشكل عليهم، ويستفتونه فيما جهلوه...

فعلى من نصَّب نفسه لدعوة الناس إلى الخير أن يتَّقيَ الله ﷻ في نفسه، وأن يعلمَ أنَّ شرف هذا المنصِب لا يعدِلُه شرف؛ لا شرف نسَب، ولا جاه، ولا كثرة مال، ولا كثرة ولد، فإنّ هذا المنصب - أي دعوة الناس إلى الخير - من أعظم الوظائف الشرعية؛ لأن صاحبه يتشبَّه بالأنبياء عليهم السلام في أقواله وأفعاله، فهو مُبلِّغ لِـمَا أمر الله ﷻ بتبليغه إلى من يجهل ذلك من أمة الإسلام وغيرهم، فينبغي له - **أولًا** - أن يجعل تقوى الله نصب عينيه، فيسعى إلى تحقيقها قدر استطاعته، فإنه إذا فعل ذلك فليبشر... فلن يرى من الله تعالى إلَّا ما يَسُرُّه، ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾.

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴾.

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾.

فالآيات والبشائر في نصيب المتقي لله ﷻ كثيرة.

والأمر الثاني: أن تكون دعوته على علم وبصيرة. ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾. فإنه مهما بلغ الداعية ونشِط في دين الله ﷻ ودعوة الناس إلى الخير ولم يكن على علم شرعيّ وعلى بصيرة وبيِّنة فإنه يتحمَّل أوزارًا، بل إنه يتحمَّل أوزار من تأثَّروا بدعوته الخاطئة، ولا ينقص من أوزارهم شيء.

فإنّ أيَّ عمل لا يكون صالحًا ولا حسنًا إلا إذا اجتمع فيه شرطان أساسيَّان، هما:

الشرط الأول: الإخلاص لله تعالى. وهذا يتمثَّل فيما سبق من الوصية بتقوى الله ﷻ.

والشرط الثاني: أن يكون العامل له على علم وبصيرة.

ولهذا يقول ربُّنا تبارك وتعالى: ﴿ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ ﴾. قال الفُضَيل بن عياض / : «أحسنه: أصوبه وأخلصه».

نصيحة

فلا بُدَّ لصلاح العمل من اجتماع شرطين فيه:

* الإخلاص لله وحده (وهو أن يخلو من الرِّياء وطلب السُّمعة).

* والصواب (وهو أن يكون على علم من كتاب الله وسنة نبيِّه ﷺ).

وقد قال ربُّنا تبارك وتعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾. فالكلم موصوف بأنه طيِّب، والعمل موصوف بأنه صالح، والطيِّب والصالح لا يكون كلٌّ منهما إلا إذا اجتمع فيه الشرطان: الإخلاص لله ﷻ، والاتِّباع للنبي ﷺ.

ولاحظ معي قول الله ﷻ: ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾. فإنّ الداعية إذا دعا إلى الله على بصيرة نجا من كلِّ مصيبة - وأعظمُها الشرك بالله ﷻ -، وإذا دعا إلى الله على غير بصيرة كان معرَّضًا للوقوع في كلِّ خطأ - وأعظمه الشرك بالله ﷻ -.

ولهذا اقرأ قول الله ﷻ في سورة الغاشية: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾. فإنّ المقدِّمة: خشوعٌ وعملٌ ونَصَب، والنتيجة: ﴿ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴾؛ لأنّ العبرة ليست بالخشوع ولا بكثرة العمل ولا بكثرة القول، إنما العبرة أن يجتمع الأصلان الأساسيَّان: الإخلاص لله ﷻ، والاتِّباع للنبيِّ ﷺ.

ثم - أيُّها الأكارم - اعلموا أنّ وظيفة الداعي إلى الخير إنما هي البلاغ، أما القبول فهذا ليس له، فلا ينبغي له أن يستعجل في البحث عن ثمرة دعوته. ﴿ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾.

ولهذا قال الله ﷻ لنبيِّه الكريم ﷺ: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾.

وقال ﷻ: ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾.

وقال ﷻ: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ۗ ﴾.

نصيحة

وقال ﷻ: ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾.

ولهذا ذكر النبيُّ ﷺ في الحديث الصحيح: أنه يأتي النبيُّ يوم القيامة ومعه الرهط، ويأتي النبيُّ ومعه الرُّهَيْط، ويأتي النبيُّ ومعه الرَّجُلان، ويأتي النبيُّ ومعه الرَّجُل، ويأتي النبيُّ وليس معه أحدٌ.

تخيَّل معي؛ نبيٌّ يوحَى إليه ومع هذا يأتي ولم يتبعه أحد من قومه، أرأيت؟ أدَّى رسالة ربِّه فبرئت ذمَّتُه وحاز الثواب، فأما الاستجابة من عدمها ومن يتبعُه ومن لا يتبعُه فهذا ليس إليه، إنما هو إلى الله ﷻ.

فالدَّاعية مأجور سواء قَبِل الناس دعوته أم ردُّوها، إن قبِل الناسُ دعوته فله ولهم، وإن رد النَّاس دعوته فله وعليهم؛ له الأجر وعلى من خالف الحقَّ الوِّزر والإثم.

فلا ينبغي أن يكون عدم استجابة الناس لدعوته عائقًا له عن مواصلة نشر الخير، فإنه لهذا السبب - أعني طلب رؤية النتيجة - حصل خللٌ في دعوة الناس، فبعض من يدعو الناس
ولا يرى قَبولًا منهم يُصاب بإحباط ويأس، وقد يقوده ذلك اليأس إلى أمور محرَّمة؛ من قتل وترويع للآمنين وتشويه لسُمعة الإسلام والمسلمين، وهو بهذا أفسد نفسه وأفسد غيره وتحمَّل مظالم من أساء إليهم - عياذًا بالله تعالى من ذلك -.

فيا دُعاة الخير، تواصوا بالحق بينكم، واعلموا أنَّ وظيفتكم دعوة من قصَّر من الناس إلى الخير، أما النتائج فلستُم مكلَّفين بها، فإنَّ من رحمة الله ﷻ أنه لم يُكلِّف بما لا يُقدَر عليه، ولهذا إذا عمل المسلم قد استطاعته فقط بَرِئَت ذمَّتُه... قال الله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾، ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾، ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾.

وفي السُّنَّة قول النبيِّ ﷺ: «وما أمرتُكم بشيء فأْتُوا منه ما استطعتم»، وقوله ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فيغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

فعليكم بضبط هذه القواعد الشرعية، وإياكم والعجلة وترك العواطف تتحكم في دعوتكم، واقرؤوا ما قرَّره علماء السنَّة في مباحث القواعد الشرعية ومقاصد الشريعة.

نصيحة

كما أوصيكم بالصبر على دعوة المقصِّرين من الناس، وإحسان الظنِّ بالله تعالى، وتذكَّروا نوحًا عليه السلام فقد لبث في قومه يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، ومع ذلك كله صبر وصابر، والنتيجة: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

وعليكم بالإخلاص في جميع أموركم علمًا وعملًا، فإنّ الإخلاص لله تعالى شرطٌ، ثم الشرط الآخَر هو الاتِّباع للنبيِّ ﷺ، ثم ينبغي أن نستشعر أمرًا ثالثًا لازمًا للدُّعاة إلى الخير، وهو: عدم اليأس والقنوط من عدم قَبول الناس لدعوته.

فإنّ الداعي إلى الله ﷻ على خير في دعوته، ينبغي أن يتذكر دائمًا ما سبق أن ذكرته، وهو أن يكون قدوةً حسنةً في سَمْتِه، وفي وَقَارِه، وفي كلامه، وفي أفعاله، وفي جميع شأنه.

فاحرص يا عبدَ الله على أن تكون داعيةَ خير في جميع شأنك، فلقد كان سلفُنا الصالح رحمهم الله تعالى يُؤَثِّرُون في الناس المدعوِّين بجميع شؤونهم.

فهذا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يقول عنه الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء» - ونقله السمعاني في «أدب الإملاء والاستملاء» -: كان يحضر مجلسه ستة آلاف، فخمسمائة يكتبون والباقون يستفيدون من خُلُقه وأدبه وسَمْتِه.

وذكر الذهبي في «السِّيَر» أيضًا عن بعض أهل العلم أنه قال: دخلتُ على الإمام أحمد وهو يُملي «المسند» على أبنائه، والله ما كتبتُ سوادًا في بياض، إنما كنتُ أنظر إلى سَمْتِه وأدبه ووَقارِه.

وهذا كما قد ثبت من حديث أمِّنا عائشة ل أنها سئلت عن خُلق النبي ﷺ فقالت: «كان خُلُقُه القرآن».

قال الشُّرَّاح: «أي: يأتمر بأمره، وينتهي عند نهيه، ويتأدَّب بآدابه».

ولهذا مدحُه ربُّه ﷻ وأثنى عليه، فقال ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. يقول بعض المفسِّرين: تعظيم العُظماء للشيء يدلُّ على توغُّله في العظمة، فكيف إذا كان المعظِّم أعظم العظماء، وهو الله ﷻ؟

فينبغي علينا أن نستشعر هذا الأمر، فإنه قد يكون عند بعض من يتصدَّى لدعوة الناس علمٌ كثير لكن في أخلاقه نوعٌ من الشَّراسة والغلظة والجفاء، فربما يصُدُّ كثيرًا من الناس عن دعوته. وربما يكون عند بعض الناس علمٌ يسير لكن أخلاقه فاضلة ويتَّسم بحُسْن السَّمْتِ والوَقار، فيتأثَّر كثير من الناس بتوجيهه ونصحه وتعليمه.

نصيحة

فعليك – يا عبد الله – أن ترعى هذا الأمر وأن تجعله نصب الأعين.

ومما أوصي نفسي وإخواني به: أن يتضرَّعوا إلى الله ﷻ بالدُّعاء، وخاصةً عند اختلاف الأمور، فقد كان النبيُّ ﷺ يَسأل ربَّه ﷻ الهداية فيما اختُلف فيه، كما ثبت في دعاء الاستفتاح في صلاة الليل أنه ﷺ كان يقول: «اللهُمَّ فاطرَ السَّموات والأرض، عالِـمَ الغيب والشهادة، اهدني لما اختلفُ فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

والله ﷻ تفضَّل بهذا النِّعمة على عباده المؤمنين، ﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾.

فعليك – يا عبد الله – أن تتضرَّع إلى الله ﷻ، وأن تظنَّ بربِّك خيرًا أنه يفتح على قلبك وأنه يُبصِّرُك بالحق.

وأيضًا هناك أمرٌ آخر هو من الأهمية بمكان على الداعية إلى الخير أن يهتمَّ به، وهو أنه ينبغي له دائمًا أن يسأل العلماء الرَّاسخين – المعروفين بصلاح المعتقَد وسلامة المنهج – أن يسألهم فيما أشكل عليه؛ لأنّ ربَّنا ﷻ تعبَّدنا بسؤالهم فقال ﷻ: ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾.

فسؤال أهل الذِّكر أمرٌ لا بُدَّ منه، بل هو واجبٌ شرعًا على من جهل الحُكم من عامة الناس، فكيف بمن يدعو الناس؟

ولهذا فإنه في عهد الصحابة ﷺ لما بلغ النبيَّ ﷺ أنَّ قومًا أفتوا رجُلًا احتلم بالغُسل، وكانت في رأسه شَجَّة، فاغتسل فمات، فقال ﷺ: «قَـتَلوه قَـتَلهم الله! ألَا سألوا إذا لم يعلموا؟! فإنما شفاء العِيِّ السُّؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمَّم...».

والعِيُّ: هو الجهل.

شاهد القول: أنّ الإشكال إذا حصل فإنه يرفعُه سؤالُ أهلِ العلم، فعليكَ أن تكون حريصًا على سؤال أهل العلم، قاصدًا طلب الحق لا أن تكون الفُتيا موافقةً لما في نفسك، بل عليك أن تفتح قلبك عند سؤال أهل العلم الراسخين، فتقبل الحق وإن خالف هواك.

فوالله لَأَنْ يلقَى العبدُ ربَّه حريصًا على دينه سائلًا أهلَ العلم عمَّا أشكل عليه خيرٌ له من أن يُقابله – على جهله – بتصرُّف أَرْعَنٍ لم يسأل ولم يتثبَّت، فالأول مأجور يُرجى له بحُسن

نصيحة

نيَّته الثواب، والثاني موزور يُخشى عليه العقاب.

ثم أيُّها الأكارم... أوصي نفسي وإياكم أيضًا بتحمُّل دعوة الناس على اختلاف أحوالهم، ففيهم الجاهل، وفيهم المُعانِد، وفيهم من يظنُّ أنه على صواب... فمن فقه الدعوة أن يُحسِن الداعي التعامل معهم. فإنّ النبيَّ ر - كما ثبت في الشمائل - كان يغضب تارةً، ويضحك تارةً، ويتبسَّم تارةً، ويمازحُ تارةً، كل ذلك على حسب أحوال الناس.

فكان ﷺ يُلاطف الصغار، ويُوَقِّر الكبار، ويرفق بالجاهل، ويُنْزِلُ الناسَ منازلهم، وهذا من كمال خُلُقه ﷺ.

وأنت - يا عبد الله - تتعبَّد الله ﷻ باتباع نبيِّه ﷺ، فعليك أن تُراعي أحوال الناس، وأن تستعمل معهم الحكمة والفقه الشرعيَّ الدَّعويّ، والحكمة هي: «وضع الأمر في موضعه»؛ فالخطاب مع الوالدين عند إرشادهما إلى الخير يختلف عن خطاب الأولاد، وخطاب الحاكم وأهل السُّلطة عمومًا يختلف عن خطاب غيرهم من سائر الناس... وهكذا مع جميع طبقات الناس.

على الداعية أن يحرص على وضع الأمور مواضعها، ويجمعُ هذا ما جاء في سيرة النبي ﷺ في دعوته، وفي الحديث الحسن من قوله ﷺ: «أنزِلوا الناس منازلهم».

وقد تمثل هذا المنهج عند أنبياء الله ﷻ في دعوتهم، فكانوا يُنزِلون الناس منازلهم، فهذا إبراهيم الخليل عليه السلام يدعو والده إلى الإيمان ويتلطَّف معه بأرقّ العبارات وأحسنها، مع تكرار ذلك طمعًا في إيمانه:

﴿ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ... ﴾.

﴿ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ... ﴾.

﴿ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَـٰنَۖ ... ﴾.

﴿ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ... ﴾.

وهذا نبيُّنا ﷺ يتلطَّف مع عمِّه أبي طالب إلى فراش الموت: «يا عمِّ، قل لا إله إلا الله، كلمة أحاجُّ بها لك عند الله».

نصيحة

فمن شفقته ﷺ بعمِّه أنه ناداه بما يليق بمقام قرابته: «يا عمّ»، ولزمه إلى فراش الموت، وحرص على عمِّه أن يقول تلك الكلمة ليُحاجَّ له بها عند الله ﷻ.

ومن حكمته ﷺ في دعوته لأصحاب السُّلطة وإنزالهم منازلهم: خطابه ﷺ لهرقل، وفيه: «... إلى هرقل عظيم الرُّوم»، فقوله: «عظيم الرُّوم» لأنّ له عظمةً عند قومه كما أشار إلى ذلك الحافظ ابن حجَر في «الفتح».

وبكل حال؛ شواهد ذلك كثيرة، فعلى داعية الخير أن يكون حكيمًا في دعوته، وذلك بالسير على منهاج النبي ﷺ.

ثم أيها الأكارم... أختم الكلام في هذا الموضوع بأمر مهمّ، وهو محاسبة النفس، فعلينا أن نحاسب أنفسَنا، وأن نتفقَّد أحوالنا، فإنّ الإنسان إذا حاسبَ نفسه بصدق وتَـجَرُّد تبيَّن له الخطأ، وبصَّره الله ﷻ بخطئه إذا كان مخطئًا، أو بصَّره الله ﷻ بالصواب حتى يزداد ثباتًا عليه إذا كان مصيبًا.

والمحاسبة يجب أن تكون بجِدِّية؛ وبدُعاء وتضرُّع إلى الله ﷻ، وبسؤال أهل العلم وطلب النصيحة منهم، وباستشارة من يثق به المرء من إخوانه في عقله ودينه، فإذا علم الله ﷻ في قلبك - يا عبد الله - الخير سدَّد لسانك، وثبَّتَ حُجَّتك، وجعل لكَ القَبول، ووفقكَ في دعوتك.

ألم تقرأ قول ربِّنا ﷻ في خاتمة سورة الأنفال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾؟

فهذه الآية وردت في الأسرى، فكيف بالدَّاعية إلى سبيل الله؟

فعليك - يا عبدَ الله - أن تُحاسب نفسك، وإن تتقبَّل النُّصح الموجَّه إليك ولو كان عليك؛ لأنك لو قبلته وامتثلته أعانك الله ﷻ وثبَّتَ لسانك، وثبَّتَ حُجَّتك، ووفَّقك في جميع شأنك. ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾.

وفي الختام؛ أذكِّركم يا إخواني أنّ عليكم مسؤوليةً عظيمة في بلدكم الجزائر، وبخاصة أنكم طلبة علم ودعاة خير، فإنّ كثيرًا من الناس ينظر إليكم أنكم من أهل العلم الشرعيّ الذين تَدُلُّون الناس وتُبصِّرونهم بالخير.

نصيحة

فاللهَ اللهَ في أنفُسكم بإصلاحها وتعاهُدها بالمحاسبة...

اللهَ اللهَ في آبائكم وأمَّهاتكم بطاعتهم - في غير معصية الله - والإحسان إليهم...

اللهَ اللهَ في إخوانكم وأخواتكم بدعوتهم بالرِّفق واللِّين...

اللهَ اللهَ في عامة الناس بدعوتهم وتبصيرهم وتعليمهم وإرشادهم...

الزموا الطرُق الشرعية، وسترون من الله ﷻ التوفيق في الأمر كلِّه، وسترون من الناس القَبول والإقبال إلى دُروب الخير، وأبشِروا من الله ﷻ بالخير والثواب، ومن الناس بالدُّعاء لكم بالخير. ومن باب التواصي بالخير أكثروا من قراءة وسماع كلام أهل العلم من علماء السنة.

شكرَ الله لكم، ووفَّقنا وإياكم لكل خير، وأسأل الله ﷻ أن يرزُقنا الإخلاص في السِّرِّ والعَلَن، وفي القول والعمل، وأن يجعلنا من الذين تصدِّق أفعالُهم أقوالَهم، ومن الذين إذا حَضَروا ذُكِروا بخير، وإذا غابوا ذُكِروا بخير، وإذا دُفِنُوا ذُكِروا بخير، وإذا بُعِثوا وجدوا خيرًا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم ومحبُّكم في الله تعالى

عبدالعزيز بن محمَّد السَّدحان

الرياض/ في يوم الاثنين ١٨ شهر رمضان المبارك ١٤٢٣هـ

● تنبيه: أصل هذه المطبوعة كلمة مسموعة مسجَّلة للشيخ فيها نصيحة للإخوة في الجزائر، ثم فُرِّغت من الشريط وأُرسِلت للشيخ فعدَّل فيها ما رآه وزاد ما يقتضيه المقام، نفع الله بها.